

مصر واليونان

« مهرة الى معالي الدكتور طه حسين باشا »

للأستاذ إبراهيم التريزى

« أينما » ، وكان للحفارة البالغة التي استقبلته بها ملكا
وحكومة وشعبا ، أرجيل خفق له قلب مصر ، وجدد لها ذكرى
سلتها الثقافية القديمة باليونان ..

وكان ذلك التكريم الرائع الذى أحاط بمعالي الدكتور
المظيم ، شورا نيلا بجميل مصر على اليونان ، وحنينا إلى
تلك الصلة القوية التي ربطت هاتين الأمتين العظيمتين في ظير
الأزمان ا

ويحسن بنا - في هذه المناسبة - أن نذكر شيئا عن هذه
الصلة الثقافية العريقة ، وأن نشير إلى آثار مصر في نهضة اليونان
العنكرة قديما ... فقد عمخت هذه الصلة عن مدينة عظيمة
أيقظت الفكر الإنساني ، ومنحته تراثا لا يزال حيا زاهرا
إلى اليوم

مما لا شك فيه أن صلة مصر باليونان قديمة ترجع تقريبا إلى
الآلاف الثالث قبل الميلاد ، فقد كانت مصر على أوثق اتصال
بجزيرة « كريت » في ذلك العهد القديم ، وقد تأثرت هذه
بمضارة مصر وأخذت عنها الكثير من فنونها التي انتقلت فيما
بعد إلى داخل بلاد اليونان . والتاريخ يذكر لنا أن الكريتيين
خضعوا قديما لسيادة المصرية ، وقد تأيد هذا بالشور على طبق
من الذهب محلى بالثقوش كان « تحتمس الثالث » قد أهداه إلى
قائد من قواده عينه حاكما على « كريت » وغيرها من الجزر
المجاورة لها

وها هو ذا الأستاذ « ماسون أورسيل » يقرر تلك الصلة
القديمة قائلا : « عندما انتقل أثر كريت إلى بلاد اليونان الداخلية
في خلال النصف الأول من الألف الثاني ق . م أدخل معه
عمرات دلتا النيل ، إذ كانت جزيرة كريت متصلة اتصالا
وثيقا بمصر منذ الألف الثالث ق . م . ولقد اشترك الكريتيون
في الثقافة المصرية كما يستدل من خطهم المؤلف إلى حد كبير
من حروف هيروغليفية ، وهذا جعلهم يصطبغون بصبغة الثقافة
المصرية سواء في ميسين أم في أيونيا » (١)

وإن التاريخ يذكر لنا أنه كانت لليونانيين بمصر - في الزمن

كان لتلك الدعوة الكريمة التي وجهتها اليونان إلى معالي
الدكتور طه حسين باشا لمنحه الدكتوراه الفخرية من جامعة

وقال ابن بطال : يؤخذ منه التثبت في خبر الواحد لا يجوز
عليه في السهو وغيره

وقد رأيت من قبل ما قبله عمر مع أبي هريرة وغيره . ولم
تكثر أحاديث أبي هريرة إلا بعد وفاة عمر ، فقد روى عن أبي سلمة
عن أبي هريرة - وقلت له - أ كفت تحدث - في زمان عمر
هكذا ؟ قال :

لو كنت أحدث في زمان عمر مثل ما أحدثكم لضربني
بمخضقتي ، وفي رواية : إنى لأحدث أحاديث لو تكلمت بها في زمان
عمر - أو عند عمر - لشج رأسي ا

وعن أبي سلمة سمعت أبا هريرة يقول : ما كنا نستطيع
أن نقول قال رسول الله ، حتى قبض عمر

وعن الزهري : أن أبا هريرة كان يقول : أفكنت محدثكم
بهذه الأحاديث وعمر حي ا أما والله إذا لأيقنت أن المحققة ستباشر
ظهري ، فإن عمر كان يقول : اشتغلوا بالقرآن فإن القرآن كلام الله
ولهذا لما بعث أبا موسى إلى العراق قال له :

إنك تأتي قومًا لهم في مساجدكم دوى بالقرآن كدوى النحل
فدعهم على ما هم عليه ولا تشغلهم بالأحاديث وأنا شريكك في ذلك
ولم يتمكن أبو هريرة من الانساع في الرواية إلا لأن الخلفاء
الذين جاءوا بعد عمر لم يتشددوا كما تشدد عمر ، ومن ثم استفاضت
الرواية وتوسع الناس فيها ، ودخلها ما دخلها مما لا يزال - وإن
زال - باقية باستمساك الحسوبة بها

المصورة «للسلام سلة» محمود أبو ريرة

(١) الفلسفة في الفرق : الأستاذ ماسون أورسيل : ترجمة الدكتور
محمد يوسف موسى . ص ٥٠

بالمابد . ومن مدارسهم الكبيرة التي اشتهر ذكرها ، والتي يمكن أن تسمى في التمييز الحديث جامعات ، مدرسة هليوبوليس (أون) ، ومدرسة سايس (صا الحجر) ومدرسة هرموبوليس (تخينو أو اثنون) ومدرسة طيبة ، ومدرسة أبيدوس (المراهبة المدفونة) ومدارس أخرى مختلفة (٣)

ولاشك أن كثيرا من مفكرى اليونان قد تملذ في هذه المدارس على أساندة مصريين ونهل من معارفهم مما كان له أكبر الأثر في علومهم وفلسفاتهم التي عزت العالم أجمع . يؤكد هذا المؤلفون اليونانيون أنفسهم إذ يقولون : « إن العلوم كانت بمجوهلة كل الجهل لدى اليونانيين حتى ملك أسبانيك عرش مصر وفتح أبواب بلاده للأجانب بمد طول إقبالها ، فتقاطر إلى وادى النيل الملاحون والتجار والسياح من اليونان ، فبهرتهم المدنية المصرية ، وكانوا على كثير من البربرية فاعتزم أولو الفهم منهم تعلم ما يتفهمهم في مدارس الكهنة بمصر ... وكذلك جاء طاليس وسولون وأفلاطون وفيثاغورس فحصلوا ما خلد أسماءهم في بطون التواريخ ، ومعروف أن فيثاغورس وحده قضى بمدارس ممفيس وطيبة عشرين سنة » (٤)

إن أول فيلسوف يونانى — وهو طاليس — قد حج إلى مصر وهرته حضارتها ومعارفها للدرجة أنه أوصى « فيثاغورس » بزيارتها وأثر مصر في « طاليس » واضح بين يظهر في مذهبه القائل بأن أصل الكون هو الماء ، فقد تأثر فيه بأسطورة مصرية قديمة تقول إن الماء قد وجد قبل أن يوجد شئ في الكون لأنه العنصر الأول المشتمل على جميع عناصر الوجودات

وفيثاغورس صاحب الفلاسفة الرقيقة العميقة قد تأثر أيضا بمصر فقد قضى فيها — كما يذكر الأورخون — عشرين عاما ينهل من معارفها وعلومها ، وأخذ عنها نظريتي خلود الروح وناسخ الأرواح كما يشير إلى ذلك الأستاذ « ليجران » في تلميقه على « هيرودوت » حينما ذكر الأخير في الفقرة رقم ١٢٣ أن

(٣) على هامش التاريخ المصرى القديم : عبد القادر حمزة باشا . المجلد

الأول ص ١٣٥

(٤) الحضارة المصرية : الدكتور غوستاف لوبون : ترجمة الأستاذ

محمد صادق رستم ص ٩٠

القديم — منطقة خاصة بهم في شمال الدلتا ، وكانوا يتمتعون بامتيازات كثيرة تحجب لهم البقاء في مصر

وعما لاشك فيه أيضا أن اليونان قد استفادت أجل الفوائد من هذه الصلة التي أحييت فكرها ، وغذته بلهان المعرفة ، وربته حتى شب ، ونحمر وانطلق إلى سماء المعرفة يخلق في آفاقها الفسيحة الممتدة ، ويتجاوب مع أسرار الكون ، ويقبض بنوره على العالمين

والواقع أن اليونان قد حملت من مصر اللبنة التي أسست بها صرح مدنيها الشاهقة ، وإن الآثار التي يكتشفها الباحثون في أرض مصر الحصبة بالأفكار والحضارة تؤكد هذا ... فليس خافيا أن مصر أعرق حضارة ، وأقدم مدينة من اليونان ... وقد اكتشف عالم فرنسى خلف الهرم الغربى جثة موظف من عهد الفديلة الأولى وجدت على تابوته تلك العبارة « هذه جثة الحارس الأكبر لدار الكتب الملكية » وقد علق الأستاذ « ماسيرو » على هذا بقوله : إن هذه المكتبة التي كان هذا الموظف الكبير مديرها أو حارسها كانت تحوى بين جدرانها كثيرا من الكتب في الأدب والفلسفة والأخلاق والتاريخ والاجتماع والقانون والسياسة والطب والحساب والهندسة والفلك والحدود والنتيجيم. (٥)

وإن هذا يؤكد لنا أنه قد سبقت هذه الدولة الفرعونية الأولى بأمد طويل حياة حافلة بثنى المعارف والعلوم ... وإن هذا أيضا يجعلنا نمتحن علماء الآثار والباحثين لكي يستجيبوا لنداء الحار المنبعث من أوراق البردى وغيرها من الآثار الراقدة في المتاحف وفي جوف الترى . . ذلك النداء الملح الذى يدعوهم لبعثها وإحياء ما فيها من أفكار ومعارف وليس أدل على قوة الروح المليئة التي كانت سائدة في مصر من هذه المدارس التي كانت منتشرة في أنحاءها ، تحفل بثنى المعارف والعلوم « فقد كان المصريون يحبون العلم ، ويحضون أبناءهم عليه ، وبرونه أشرف مطلب للإنسان في الحياة ... وكانت لهم مدارس تعلم القراءة والكتابة والحساب والهندسة والطب والفلك والنحت والتصوير والموسيقى وغير ذلك من العلوم والفنون ، وكانت مدارسهم هذه منتشرة في كل إقليم ، وكانت في الغالب ملحقة

(٥) الفلسفة المصرية : الدكتور محمد غلاب . ص ٦١

على علماء وادي النيل « كما يصرح بذلك الأستاذ « جانيه » (٦) «
« وأفلاطون » أيضا قد زار مصر ، واتصل بعلمائها ، وتأثر
بهم ، فقد قال العالم شامبوليون : « تعلم فيثاغورس بمصر كل
ما استطاع معرفته ، وتعلم بها أيضا سولون وطاليس كل ما علماء
اليونانيين ، ومعرفة لدينا أسماء الأساتذة الذين تلقى عنهم أفلاطون
علمه بمصر في مدرسة هليوبوليس » (٧)

أما الأستاذ « جول باي » فإنه يمد أن يذكر أن فيثاغورس
قد وضع نظريته في تناسخ الأرواح اقتباسا من مصر ، يحدتنا
بأن أفلاطون أيضا قد أخذ كثيرا من مصر ، ثم يمد أن يمدد
ما أخذه ذلك الفيلسوف العظيم عنها وبين أثر ذلك في فلسفته
يحتّم كلفته قائلا : « وهذا كله مأخوذ من مصر ، وكان من
الضروري أن تجد الفلاسفة الأفلاطونية - والأفلاطونية الحديثة
- ربة سالحة لها في مصر لأن جذورها المصرية . » ويذكر أيضا
« جول باي » أن كثيرا من مفكري اليونان قد زار مصر وتأثر
بمعارفها ، فإنه يمد أن يشير إلى ما اقتبسه اليونانيون من المصريين
في مصير الإنسان بمد موته ، ويمد أن يقرر أن المصريين هم
أساتذة العالم في هذا الموضوع يقول : « وكان كثير من اليونانيين
الشهويين يفتخرون بأنهم ساحوا في مصر ، وكان تلاميذ هؤلاء
العلماء والمحبوبين بهم يرون شرقا لهم أن يكونوا قد تنقلوا في
مصر ، فن الشعراء مثلا هوميروس وأورفي وموزي وميلامب ، ومن
الشرعيين ليكوج و سولون ، ومن المؤرخين هيكاتي وهيرودوت
وهيلانيكوس ، ومن الفلاسفة والعلماء طاليس وفيثاغورس
و كزيتفون وديموقريت وإيدوكس وإينوبيد وأفلاطون » (٨)

وإن الأستاذ « ماسون أورسيل » قد قرر بعض آثار مصر
في اليونان حين عرض للمصلة التي كانت قائمة بينهما بقوله : « وأم
ما أخذه المقلية الإغريقية عن مصر هو الهندسة التي تمد النموذج
الأسيل للمعرفة حسب مذهب أفلاطون » ثم يذكر أن مقاييس

المصريين أول من قالوا بخلود الروح ، ثم أشار إلى قولهم بتناسخ
الأرواح وقال : « ومن اليونانيين من نقلوا هذه النظرية بعضهم
قديما وبعضهم حديثا وظهروا بها في اليونان كأنها نظريتهم وكانهم
هم الذين وضعوها ، وأنا أعرف أسماء هؤلاء الذين فعلوا هذا
والسكنى لا أذكرها » . يعلق « ليجران » مترجم هيرودوت
على هذا بقوله : « هؤلاء الذين أتى هيرودوت أن يذكر أسماءهم
هم الأورفيون وفيريسيد وفيثاغورس وأمبيدوكل . » ويطلب لي
هنا أن أذكر تلميذ المرحوم عبد القادر حمزة باشا على قول
هيرودوت هذا إذ يقول : وهذا هو الذي يفسر لنا هذه الظاهرة
الغريبة ... وهي أن كثيرا من العلماء اليونانيين الذين أقاموا في مصر
واتصلوا بدارسها ثم عادوا إلى بلادهم وكتبوا مؤلفاتهم لم يقل
واحد منهم إنه اقتبس منها علما أو فنا » (٥) . والواقع أن قول
هيرودوت قد كشف لنا عن حقيقة هامة يجب أن يوليها
الباحثون عناية فائقة ، فإنه من الجائز أن يفعل مفكرون يونانيون
غير من عرفهم هيرودوت هذه الفعلة إزاء نظريات أخرى ،
فليسهم أن يمتوا بالكشف عن الآثار ودراستها ، فلملهم
واصلون إلى أدلة أقوى من التي بأيدينا. الآن مما يزيدنا يقينا بقوة
الصلة بين مصر واليونان ، فإن المؤلفين الغربيين والشرقيين لم
يتأكدوا من آثار مصر في اليونان ، بل إن بعضهم لم يذكرها
ولم يشر إليها إلا بمد أن ظهرت هذه المكتشفات العظيمة التي
أكدت قوة هذه الصلة وعمقها

نعود إلى فيثاغورس وجماعته فنقول إن الفيثاغوريين قد
تأثروا أيضا بكتاب الموتى فقد اكتشف الباحثون أنهم كانوا
يضمون في قبور موتاهم صنائع ذهبية رسمت عليها الطرق التي يجب
على الروح أن تسلكها بمد الموت وكتبت عليها الصلوات التي
تتلوها . مما يشبه ما جاء في كتاب الموتى

أما « ديموكريت » فيلسوف القدرة « فقد كان من أم
الأسفار التي أثرت في حياته العملية إقامته بمصر التي يحدتنا هو
أنها استغرقت خمسة أعوام كاملة فضاها كلها في تائق علم الهندسة

(٦) [autet et sealles Ouvrage: cie P 925

عن كتاب : القلعة الإغريقية - دكتور محمد غلاب

(٧) الحضارة المصرية : الدكتور غوستاف لويون : ترجمة الأستاذ

محمد صديق - رسم - من ٨٠

(٨) على هامش التاريخ المصري القديم : عبد القادر حمزة باشا . المجلد

الثاني من ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦

(٥) على هامش التاريخ المصري القديم : عبد القادر حمزة باشا . المجلد

الثاني من ١٨ ، ١٩

(الفقرة ٨ من كتاب « Isis et Osiris » من الترجمة الفرنسية المطبوعة سنة ١٩٢٤) ثم يستطرد بلوطارك بعد ذلك إلى أسطورة « إيزيس وأوزريس » فيقول : « إنها إحدى المفاهيم المستورة تحت ستار قصص وكتابات لا يظهر من خلالها إلا أثر قليل من الحقيقة المقصودة » (١١)

ومما لاشك فيه أن القوانين المصرية قد أثرت في القوانين اليونانية ، بل امتدت آثارها إلى القوانين الرومانية وبخاصة قانونها المسمى « قانون الألواح الإثني عشر » والقانون الروماني « الذي اقتبست منه أوروبا قوانينها الحديثة

ومن الواضح الجلي أيضاً أن اليونان قد تأثرت في فنونها إلى حد كبير بالفنون المصرية ، فإن الباحث رى كثيراً من الملامح المصرية فيها خلفته اليونان من تراث في خالد

وجميع ما تقدم يكشف لنا عن الجذور المتأصلة القوية التي ربطت الثقافة اليونانية بالثقافة المصرية في الزمن القديم ، وبين مدى عمق هذه الصلة العريقة التي تقاعدت فيها الثقافتان إلى حد جعل الدكتور « غوستاف لوبون » يقول : « ولا نعلم تفصيلات ما تلقاه الإغريق عن المصريين ولكننا ندرك أنها معظم المعارف التي تضمنتها كتبهم ، إذ لم يكن لهم من قبل كتب ولا علوم ذات شأن . . . وما تقدم يدلنا أيضاً على أن أصول العلم نهاية في القدم ، فليس الإغريق هم الأصل ما داموا قد تلقوا العلم عن المصريين وتقدمهم هؤلاء بآلاف السنين ، وعلى هذا يصح لنا القول بأن العلم كالدنية صرح وإحد تعمل في بنائه الأمم على التوالي ، واحدة وراء أخرى ، فإذا تقرر هذا صح أيضاً أن نبحت عن مبلغ علوم المصريين في تأليف الإغريق الذين عاصروهم مثل فيثاغورس وأفلاطون » (١٢)

حقيقة أن الفكر اليوناني قد تنفذ على الفكر المصري ، ولكن من الواضح البين أنه بعد ذلك فاق أستاذه كثيراً وبزه في كل مجال ، وتسلم منه مقاليد الفن والفكر ، واستوى على عرشه القدس ، ومنح العالم تراثاً حياً ناضجاً من الفلسفات والعلوم والفنون ، وحرك عجلة الإنسانية فقطعت أشواطاً جبارة

(١٢) الحضارة المصرية : الدكتور غوستاف لوبون : ترجمة الأستاذ

محمد صادق رستم . ص ٩١

المسطحات والمكعبات كانت دقيقة إلى أقصى حد عند قدماء المصريين ، ويشير إلى نضوج علم الحساب لديهم ذاكراً أن حساب الكور كان بعد أم تهي في هذا العلم ، ويذكر أيضاً أن حل المعادلات الرياضية كان من الأمور اليسيرة عندهم إلى أن يقول : « وكل هذه المعارف والعلوم قد أخذها اليونانيون عن قدماء المصريين بما في ذلك خيط البناء والساعة الشمسية وساعة الماء ثم يستطرد قائلاً : « وكان علم الفلك موضع ملاحظات منظمة ومتوالية فقد جمعت السنة ٣٦٥ يوماً وربع يوم مقسمة إلى اثني عشر شهراً ، وكان الأسبوع سبعة أيام مسماة بأسماء الكواكب السيارة السبعة ، واليوم مكوناً من اثنتي عشرة ساعة نهائية ومثلها ليلية . . . وفكرة البروج وشكل الكون الكروي ، وكروية الشمس والقمر لا الأرض التي كانت تمد حلقة مستوية بمنطقة بالمحيط ، وطبيعة النجوم النارية ، وشرح الخسوف والكسوف . . . الخ » وكل هذه المعارف والأفكار قد أخذها اليونانيون - إما قضية مسلمة وإما موضعاً للنظر والبحث - عن قدماء المصريين . . . وإلهم أيضاً يمكن أن تنسب نظرية العناصر الأربعة في الطبيعة مع فكرة أن الماء هو العامل الأساسي » (٩)

ولقد تأثرت اليونان أيضاً بالديانة المصرية القديمة التي يجمع الباحثون على أنها أول ديانة بشرية في الوجود ، وأكبر مثل على هذا التأثير انتشار عبادة « إيزيس » في اليونان ، وتشيد مما بدأها على الطراز المصري ، والتعبد فيها بطقوس شبيهة بالطقوس المصرية ، حتى أن بلوطارك اليوناني أثبت كتاباً عن « إيزيس وأوزريس » ، ومما جاء فيه قوله : إن « هذا الشعب (يريد الشعب المصري) لم يكن كما يتوهم بعضهم يدخل في حفلاته الدينية أي مبدأ غير مسموع ولا أي عنصر يوعز به الوهم أو توهم به الوسوسة ، وإنما كانت عاداته تقوم على ما في اتباع هذه المواد تقسماً من الفوائد أو على الافتنان في تسجيل ذكريات تاريخية قديمة أو على إيضاح نواميس طبيعية » (١٠)

(٩) الفلسفة في الشرق : الأستاذ ماسون أورسيل : ترجمة محمد يوسف

موس : ص ٥٥ ، ٥٦

(١٠) (١١) على هامش التاريخ المصري القديم : عبد القادر حجة باشا

المجلد الثاني ص ٤٤ ، ٤٥